

الفصل التاسع

القوة

إن قوة البحث هي إحدى الاعتبارات الهامة التي يجب أن يحرص عليها الباحث، بالإضافة إلى حرصه على سؤال وأخلاقيات البحث. وتزخر الأدبيات بالمعاني المستخدمة لتعريف "القوة" مثل التكرارية والكفاية والقدرة على الاعتماد على النتائج وقابلية تكرار البحث، والصلابة. وللباحثين الكيفيين - مثل الباحثين الكمييين - خطوات إرشادية عن وسائل جمع البيانات وتحليلها.

ما هو البحث القوي؟

البحث القوي هو البحث الذي يمكن الاعتماد على نتائجه، ويتسم بالقوة والصلاحية والارتباط بالواقع. وكلما كان البحث متسقاً ، كلما كان أكثر قوة. وإذا كان البحث قويا فسيتمكن من الوقوف على أرض صلبة وحده، و سوف يضيف شيئاً للمعرفة، ويتمتع بالانسياب الداخلي، كما سوف يتبع الخطوات الإرشادية النظرية (حسب المقاربة التي ينتهجها الباحث).

وتختلف طرق التأكد من قوة البحث الكيفي بالمقارنة بالبحث الكمي، إذ تختلف الافتراضات ووسائل جمع البيانات وأدوار الباحثين في كل من النموذجين. ففي البحث الكمي، تتسع المسافة بين المشاركين والباحث، كما أن المقابلات أكثر تقنياً. أما في البحث الكيفي، فالباحث أقرب إلى البيانات و المبحوثين وأكثر تدخلاً في شؤونهم. كما يتم توليد كم كبير من البيانات خلال التفاعل مع الآخرين، ولا تستخدم الصيغ الحسابية في البحث الكيفي للتحقق من قوته.

دليلك للتحقق من الكفاية والقدرة على الاعتماد على نتائج البحث:

تتباين الأسئلة الخاصة بتقييم نتائج البحث في الأدبيات حسب وجهة النظر الفلسفية والعبارات المستخدمة لتقييم البحث الكيفي. وكثيراً ما يصادف القارئ في الأدبيات عرضاً للعمليات والمعايير المتبعة لتقييم البحث الكيفي والبحث الإثنوجرافي بالتحديد (Hammersley, 1992; Creswell, 1998) ، وانتاج مقولات مقنعة (Mason 96) ، والحكم على البحث القائم على النظرية الـ grounded (Strauss and Carbin 1990) أو طرح الأسئلة المتعلقة بالقوة (Seibold et al., 94) . وتناقش جهات النظر الفلسفية المختلفة التي يستخدمها الباحثون الكيفيون تطبيق نفس المعايير المستخدمة في البحث الكمي

(الصلاحية و القدرة على الاعتماد على النتائج) على البحث الكيفي. وعلى هذا الأساس، تتعدد وسائل التحقق الساعية إلى إيجاد معادلات للصلاحية و القدرة على الاعتماد على النتائج، أو استخدام لغة أخرى مميزة (Creswell, 1998).

ويرى (Hammersley 1992) أنه حيث أن الاثنوجرافيا على سبيل المثال - وهي مقارنة شائعة - هي نموذج بديل للبحث الاجتماعي الوضعي Positivist ، لا ينبغي أن يستند التقييم إلى المفاهيم الوضعية، وبالمثل، يجب استخدام عبارات بديلة تلتزم بالمسلمات الطبيعية (Lincoln and Guba 1985) . فالحقيقة والكفاية و الصلة و القدرة على الاعتماد على النتائج كلها من المعايير المستخدمة في الحكم على قوة البحث. ويستنتج Hammersley (1992) أن الحكم على صلاحية الادعاءات لا بد وأن يقوم على أساس كفاية الأدلة المستخدمة في اثباتها. ويعتمد ذلك على معقولية ومصداقية تلك الادعاءات. ويساند Creswell (1998) مع الرأي القائل بأن التحقق هو عملية تحدث خلال جمع وتحليل البيانات.

وفي الاثنوجرافيا والمقاربات غير الوضعية (الكيفية) الأخرى ، تتوقف قوة البحث على نوعية البيانات التي تم جمعها ونتائجها، فالاهتمام بموضوع الصلاحية ، الذي يشار إليها بالكفاية، يتم التعبير عنه بالتحقق من أن توليد البيانات وتحليلها ملائمان لأسئلة البحث، ويتسمان بالدقة. ويناقش Lincoln and Guba في (Bradley J 1993) ، أربعة معايير لتقييم القدرة على الثقة في البحث الكيفي: المصداقية والقدرة على تكرار التجربة، والقدرة على الاعتماد على النتائج وعلى التأكد من صحتها. وتشير المصداقية إلى مدى كفاية نتائج البحث الكيفي ومدى عكسه للواقع. أما التكرارية فتشير إلى أى درجة يمكن تطبيق نتائج البحث على سياق آخر وأما القدرة على الاعتماد على النتائج فتشير إلى درجة تماسك واتساق نتائج البحث وتكرار الحصول عليها، وأخيرا، تعكس القدرة على التأكد و التحقق من النتائج إلى أى مدى يؤكد القراء أو الباحثون نتائج الأبحاث الكيفية الأخرى بمعنى آخر، تطرح مسألة الكفاية الأسئلة التالية:

سؤال: هل الملاحظات التي تبدى عن مشارك أو حدث ما متسقة بشكل متماسك مع السياق العام؟

يتم تقدير كفاية المادة المجمععة عن طريق التأكد من المنطق المستخدم في المنهجية بشكل عام والوسائل المستخدمة.

سؤال: هل المقاربة البحثية المستخدمة فى هذه الدراسة مناسبة للإجابة على سؤال البحث؟

هل يسلط الضوء بشكل كاف على سؤال البحث فى سياق الدراسة وتقرير النتائج؟

يشير منطق اختيار كل وسيلة من الوسائل فى اطار الدراسة الى كيفية مساهمتها فى انتاج البيانات المتصلة بالموضوع.

سؤال: هل استخدمت وسائل الملاحظة بالمشاركة وإجراء المقابلات وتدوين الملاحظات والتصوير الفوتوغرافى بشكل مناسب؟

سؤال: هل تمكنت على قدر استطاعتى من التحكم فى تحيزى كباحث عن طريق التخلص من افتراضاتى المسبقة عن الثقافة السائدة والسياقات التى تخضع للدراسة؟ (طرح أسئلة تحترم المبادئ الأخلاقية وتتناسب مع كافة المواقف لضمان الفهم التام للأنشطة المختلفة والتجارب المعاشة)

سؤال: هل تأكدت من أن المبحوثين على فهم تام بالأسئلة التى طرحت وأن رد فعلهم كان مناسباً؟

سؤال: هل سعيت إلى تقديم وجهة نظر المشاركين فى أفضل شكل ممكن بالرجوع إليهم للتأكد من فهم ما قالوه، واستخدام اقتباساتهم المباشرة فى كتابة التقرير؟ سوف يساهم ذلك كله فى تحسين فرص الحصول على المعلومات عن آراء وخبرات المشاركين.

يتم تقدير كفاية تفسير البيانات أو تحليلها من خلال النتيجة النهائية للدراسة. ويتوقف ذلك على كفاية الوسائل التى تمت مناقشتها سالفاً التى تمكن الباحث من الحصول على المادة الخام.

هل فى النتيجة النهائية ردا على سؤال البحث؟

سؤال: هل تم الوصول إلى النتائج عن طريق تحليل الموضوعات المتصلة بأسئلة البحث المستندة إلى القصص التى رواها المشاركون وملاحظات الباحث؟

سؤال: هل تحققت من الاستثناءات للنتائج النهائية، حتى يمكن لى أن أقدم أكثر من بعد للآراء الخاضعة للمناقشة؟

يرى Seibold وآخرون (1994) أنه يمكن التحقق من القدرة على الاعتماد على البيانات من خلال فحص الآثار المنهجية والتحليلية التي تظهر خلال عملية البحث، للتأكد من أن التفسيرات والتوصيات مدعومة بالبيانات.

سؤال: هل ينطبق كل ذلك على الدراسة؟ بمعنى آخر، هل قمت بتوثيق كافة الإجراءات التي استخدمتها حتى يستطيع القارئ أن يتتبع عملية البحث ويفهم كيفية اتخاذ القرارات؟

سؤال 1: لنفترض وجود استثناء- أى أن نتائج حلقة نقاش بؤرية معينة تعتبر استثنائية. فبعد الانتهاء من العمل، هل نعود للتأكد من النتائج والخروج بالمزيد من المعلومات من نفس المجتمع المحلى؟

الإجابة: تتوقف الإجابة على سؤال البحث وأيضاً على النتائج التي توصلت إليها. هل الاستثناء متعلقاً مثلاً بالنوع الاجتماعى، بالسن، بوجهة النظر؟ على سبيل المثال، إذا كان سؤال البحث يتطلب منك تحرى مهارات تعايش المتطوعين فى منظمة الصليب الأحمر ببيروت، لا يمكنك فى هذه الحالة أن تذهب الى مدينة بيبيلوس للتأكد. فقد يكون الاستثناء فى شئ صرح به شخص بعد انقضاء حلقة النقاش. اذن، عليك ان تعود إلى الشخص المقصود، وأن تطلب منه توضيح تلك المسألة و نجرى مقابلة معه، فقد تكتشف شيئاً لم تكن تتوقعه.

العينة النظرية: من شارك الى الآخر حتى تنتهى المفاجآت.